المداخلة كاملة

البعث الجديد لمقاصد القرآن الكريم عند الشيخ محمد الغزالي من خلال كتابه: المحاور الخمسة للقرآن الكريم.

د: زهرة بن علي

مقدمة:

القرآن الكريم هو رسالة السماء الخالدة، والمحفوظة بحفظ الله سبحانه وتعالى، أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم، فتلقفها هو وصحابته الكرام بكل قوة وحب وخضوع واستسلام، فكان خلقه القرآن صلى الله عليه وسلم، عمل به هو وأصحابه وجميع من أسلم معه وكانوا رجالا ونساء صدقو ما عاهدوا الله عليه، فحفظوا أمانة السماء و كانوا أحق بها وأهلها، لكن هذا الجيل انقضى وجاء جيل بعده أضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات، فضيعوا الأمانة وألبسوها لباس الخذلان والعار، فأصابهم صغار بين الأمم حتى أصبحوا غثاء كغثاء السيل، إلاّ أنّه كما قال صلى الله عليه وسلم ما يزال الخير في أمتي إلى يوم القيام، فقد كرّس الله سبحانه وتعالى أشخاصا كالسيوف اللامعة تحت ضوء الشمس في معركة حامية الوطيس، جعلهم الله حجة لدينه ينصرونهم ولو بالقول، من بين هؤلاء الرجال الإمام محمد الغزالي، الذي أراد أن يُرجع الإسلام إلى سابق عهده كما نزل من السماء صافيا خاليا من الشوائب، تعلوه الشهامة والرفعة والعنفوان المندفع للإصلاح والخير والدعوة إلى الله بكل إخلاص وتفاني، فأخذ يدرس ويمحص في كتب التاريخ عن الأسباب التي جعلت الأمة الإسلامية تتراجع إلى الحضيض، وتنغمس في الخرافات وتنشغل بسفاسف الأمور، فوجد عدة أسباب منها ما هو خفي ومنها ما هو جلي، فأخذ يجلو الغبار عن هذه الأسباب لكي يسير الإنسان المسلم في طريق الله بكل شفافية ووضوح، لذلك أخذ يعيد ترتيب أولويات الإسلام من جديد فحصرها في خمسة محاور، أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق كما قال صلى الله عليه وسلم.

أما الإشكال المطروح في هذا البحث فهو: كيف قسّم الإمام الغزالي محاور القرآن الكريم؟ وما هي مقاصد القرآن الكريم عند الإمام الغزالي؟ ما هي أهم الأسباب التي جعلت القرآن الكريم في آخر القائمة لدى الفرد المسلم بعد أن كان أعلاها وأغلاها؟ وماهي الطرق التي يمكن للإنسان المسلم أن يسترجع بها قوة وهيبة دينه المفقودة؟

وهنا سأستعرض محاور القرآن الكريم كما قسمها الإمام الغزالي:

المحور الأوّل: الله الواحد

هو المحور الأوّل و الرئيسي الذي تمحورت حوله واهتمت به آيات القرآن الكريم بشكل كبير جدا. فحديث القرآن الكريم عن الله يمزج بين أمرين: **الأول**: فقر العالم إلى الله وقيامه به واستمداده الوجود منه ، أي أنّه من المستحيل أن يتخلق من غير خالق، أو ينتظم من غير منظم. **والثاني**: أنّ هذا الخالق المدبر واحد لا شريك له، ليس له ند أو ضد، كل شيء هالك إلاّ وجهه، كل شيء من إنس أو جن، يستوي في هذه العبودية، حيوان مستخف تحت التراب، أو ملك ساجد تحت العرش، (**له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى**) (طه 6).[1]

لماذا يتناسى الناس آثار القدرة العليا، وصنع الله الذي أتقن كلّ شيء؟ إني أحتقر الالحاد من أعماق قلبي، ولا أزال أراه مرضا لا فكرا، هل الفكر أن أقول صنعت الأرحام ما استودعت من أجنة؟ وما أخرجته من بنين وبنات؟ هل الفكر أن أقول: صنعت التربة ما على سطحها من زروع وزهور وحبوب وفواكه؟ أيّ فكر هذا؟ (**الله خالق كل شيء وهو على كلّ شيء وكيل* له مقاليد السماوات والأرض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون* قل أفغير الله تأمروني أعبد أيّها الجاهلون**) الزمر 62-64.[2]

إنّ التوحيد نظام حياة، وللارتباط بالله الواحد آثار، تتناول الفرد والمجتمع والدولة، كما نذهب إلى المسجد، كيما نسجد لله، نبني المدرسة لتعلّم دينه، ونبني المحكمة لتقضي بما شرع، ونبني الدولة لتوجه أجهزتها، كل شيء بمراد الله، وإشارة إلى الأدب النفسي، والأدب الاجتماعي والأدب العسكري جاء في السنة، "لا تمس النار عينا بكت من خشية الله، ولا تمس النار عينا غضت عن محارم الله، ولا تمس النار عينا باتت تحرس في سبيل الله". إنّ هذه الأعمال انبثقت من عين واحدة، من عقيدة التوحيد، هذه العقيدة التي تطوي في إطارها كلّ شيء وتتجه به إلى الله (**قل إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أوّل المسلمين**) الأنعام 162-163.[3]

إنّ أوّل شرائع الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وهذه الكلمة العظيمة تعني شيئا فوق الإخبار المعتاد، إنّك حين تذهب إلى ساحة القضاء وتذكر ما تعرف في قضية معروضة لا تقصد مجرد الإخبار، إنك بما تقول تحق حقا كاد الباطل يغلبه، وتخذل باطلا كاد يروج وينتصر، إنّ الإخبار المجرد قد يكون قصصا مسليا، وقد يكون

---

[1] محمد الغزالي: المحاور الخمسة للقران الكريم، دار الشروق، دون باقي معلومات النشر، ص 22.

[2] المصدر نفسه: ص 24.

[3] المصدر نفسه: ص 49-50.

حكما جادا. وشهادة التوحيد حين ترسلها في ساحة الحياة فأنت بهذه الشهادة لا تطلق خبرا هو بعض ما يتداوله الناس من كلام أو يتناقلونه من حديث، إنها شهادة تعني إحقاق حق وإبطال باطل، إنّها شهادة تعني أنك قررت المضي في الحياة وفق خطة تنابذ الشركاء العداء وتقر لله بالوحدة.[1] أي نفي لكل إله وشريك وتأكيد لوجود إله واحد دون شريد مادي أو معنوي.

إن الاعتراف بوجود الله يجب أن يكون خضوع العقل والفؤاد للأدلة التي استبانت صحتها، ولا محيص عن المصير إليها والتسليم بها، أمّا إذا تظاهرت الدلائل على أنّه لا إله هنالك، فإنّ ربط العامة أو الخاصة بوهم كبير يعد خدعة سمجة، ونحن نجل الحياة والأحياء عن هذا اللون من الخداع، ونرى أن يفتح البشر أعينهم على الحق وحده، فالإيمان بالله الواحد ليس لعبة سياسية، أو تشريعا استثنائيا، كلا إنها الحقيقة التي ظل عنها الغافلون أو المستغلون، والنور الذي أغلقت دونه أجفان العميان، أما الرجال الذين رزقوا صفاء الفطرة، ونقاء الفكر فلن يتيهوا عن الله أبدا، إنّ هذا الإيمان الوثيق معدن قلّما تخلو منه نفس عظيمة.[2]

أما سورة الإخلاص فهي ركنّ الإسلام الأوّل الذب تقوم عليه بقية الأركان، فقد جاء فيها أنّ رب العالمين واحد، لا ثاني له ولا ثالث، لا صاحبة له ولا ولد، والصفات التي أسندها لذاته العليا، تجعل ما سواه صفرا، وتجعل القول له عبثا ، " **وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد سبحانه فإياي فارهبون**" النحل 51. والتوحيد روح الإسلام ولباب القرآن، وما نسبه الله لنفسه من صفات يجعل ما عداه عبدا عاجزا لا يملك لنفسه ولا لغيره ضرا ولا نفعا، فأين هو؟ ولماذا لم يقبل التحدي؟ .. وسورة الإخلاص سطر واحد: " **قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤا أحد**"، وهي تعدل ثلث القرآن لأنها لخصت أصل الاعتقاد عندنا. [3]

من الواجب على المسلم أن، يؤمن بالله الواحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد، ومن الواجب على المسلم أيضا تحقيق العبودية التامة لله الواحد سرا وعلانية، فبدون ذلك تبطل كل أعمال المسلم الصالحة، وتعتبر لا طائل منها فالله الواحد، هو المحور الأوّل للدين الإسلامي، وبدون تحقيق التوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى يبطل إسلام الفرد حتى وإن حقق بقية شروط الإسلام، فعلى هذا المحور تقوم بقية المحاور وتدور في فلكه.

المحور الثاني: الكون الدال على خالقه

نحن نعيش في زاوية ضئيلة من زوايا كون ضخم، بيد أنّ هذه الضآلة، لم تحجب عظمة الملكوت الكبير، لأنّ الأرض ومن عليها صنع الله الذي أتقن كلّ شيء. وحين ننظر إلى أنفسنا وإلى عالمنا المحدود ندرك أن الخالق قدير حكيم عليم، لا منتهى لكماله، ولا حدود للثناء عليه، إنّ ما غاب من خلق عن وعيينا أكبر مما أحسسنا وعلمنا،

---

[1] محمد الغزالي: الجانب العاطفي من الاسلام، بحث في العلق والسلوك والتصوف، ط3، (نهضة مصر، القاهرة، 2005م) ص 45.

[2] محمد الغزالي: جدد حياتك، ط9، (نهضة مصر، 2005م) 165-166.

[3] محمد الغزالي: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ط4، (دار الشروق، القاهرة، 2000م) 549.

والأمر كما قال جلّ شأنه: (**لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون**) غافر (57). لكن ما دخل في دائرة وعينا، صارخ الدلالة على عظمة البديع الأعلى، شاهد صدق على أنه ذو الأسماء الحسنى، والصفات العلى، إنّ هذا الكون، هو المسرح الأوّل لفكرنا، وهو الينبوع الأوّل لإيماننا، والذهول عن الكون سقوط إنساني ذريع، وحجاب عن الله غليظ، وفشل في أداء رسالتنا التي خلقنا من أجلها، وعجز عن التجاوب مع وصايا القرآن التي تكررت في عشرات السور.(**إنّ في السماوات والأرض لآيات للمومنيين، وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون* واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون* تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون**) الجاثية 3-6...إن التفكير فريضة إسلامية كما قال العقاد، والمجال الأوّل للفكر مادة هذا الكون، كما أبان القرآن الكريم، وإنّ عجبنا لا ينقضي من تلكؤ الفكر في هذه السبيل، وأعتقد أنّ الآفة التي أصابتنا، وأزرت بنا جاءت من تأثرنا بالفلسفة اليونانية، وجرينا وراء خيالاتها، وأوهامها، بدءا من عصر الترجمة، إلى عصر الانحطاط العربي الأخير.[1]

و لست أرد إلى الفكر اليوناني وحده، ما أصاب العقل الإسلامي من عوج، إنّ هناك نوعا من التدين يفهم طلب الآخرة على أنه كراهية الحياة، ويفهم الزهد في العاجلة على أنه الجهل بها أو العيش على هامشها.. ففي العصور الأخيرة شاع هذا النوع من التدين، فشان الدين والدنيا معا ، وألحق بالمسلمين هزائم رهيبة في معاشهم ومعادهم على السواء... لذلك فإنّ انفتاح المرء على الكون وفقهه لما فيه واستمكانه منه، هو التوجيه القرآني الأوحد لجملة العقائد والمعالم، التي يقوم الدين عليها.[2].. إنّ الذين يحسبون أنّ علوم الكون والحياة علوم طفيلية على دين الله ، ويظنون العبادة حمل السبح وتحريك حباتها بكلمات جوفاء ناس عميان لا وزن لهم.[3]

قال الله تعالى: (**والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين* والله جعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحرّ وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون**) النحل 80-81. هذا من نعم الله على بني آدم كلهم، بما يسر الله لهم من خير، وأتاح لهم من تمكين، بيد أنّي أنظر فأجد أنصبة المسلمين متضائلة من هذه النعم المبذولة، وأجد أيديهم مغلولة، أو مشلولة في تصريف هذه القوى. في حين أني رأيت في شرق العالم الإسلامي وغربه، مدنا، وقصورا، وجسورا، وطرقا، ومحطات ومطارات، شادها الأجانب ونحن ننظر. من الذي ينسج السرابيل التي تقي الحر والسرابيل التي تقي البأس؟ من الذي حوّل جلود الأنعام إلى حقائب وبيوت تصلح للسفر و الإقامة؟، من الذي شاد المصانع الكبيرة لنسج الأصواف والأوبار والأشعار، ونقلها بالبواخر

---

[1] محمد الغزالي: المحاور الخمسة للقران الكريم، مصدر سابق ، ص 51-52.

[2] المصدر نفسه: ص 56.

[3] المصدر نفسهص 59.

الضخمة إلى شتى الأقطار؟، إنني دهش لأنّ آيات القرآن لا تجد من يعيها، لذلك فإنّ دراسة الكون، نهج قرآني واضح، لبناء الإيمان أولا ولدعمه وحراسته ثانيا، و لمنافع البشر ومتاعهم ثالثا، ومع ذلك فإن أجيالا كثيفة غلقت مشاعرها دون هذه الدراسة...إنّ الأوروبيين والأمريكيين كانوا أقرب إلى الفطرة الصحيحة، عندما تركوا لعقولهم العنان، تبحث في الكون وتفيد من كنوزه وما أودع الله فيه من قوى، وكنا نحن أبعد عن الفطرة التي هي لباب ديننا عندما فتنتنا فلسفات سخيفة لا خير فيها، وعندما استمعنا إلى بعض المتدينين الهاربين من الحياة الفاشلين في ميادين الفكر والانتاج والسلوك، فأسأنا إلى كتابنا ولم نحقق غاياته الكبرى.[1]و تلاوة قليلة للقران الكريم، وقراءة كثيرة للاحاديث، لا تعطيان صورة دقيقة للإسلام، بل يمكن القول بأن ذلك يشبه سوء التغذية، إذ لا بد من توازن العناصر التي تكوّن الجسم والعقل على السواء.[2] ف"**المرء الصالح الذي لاذ بالفرار اليوم يمهد لشر قد يجتاحه غدا، أو هو سيجتاح حتما أولاده بعد غد**". إنّ الإسلام يرفض الفرار من الزحف، وهو قد يرخص به إذا كان استئنافا للصراع واستمكانا من الهجوم (**ومن يولهم يومئذ دبره إلاّ متحرفا لقتال أو متحيّزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير**) الأنفال16.[3]

لا يقصد محمد الغزالي الزحف أثناء المعركة بل بقصد التخلي عن الأمة تتخبط في خذلان وضعف ويستكين هو بدوره إلى دين قد صنعه بنفسه أو قد صُنع له لكي يختفي ولا يكون له أثر إيجابي في نهضته بأمته، فهذا الانسان المسلم وكأنه يفر من الزحف أثناء المعركة. فالواجب على المسلم أن يهتم لأمر أمته ويهمه وضعها بين الأمم، ويكون سعيدا لرفعتها وحزينا لذلها على الأقل، ومن الجدير به أن يكون من صناع الأثر العائد بالفائدة على أمته ودينه وربه أولا وآخرا، فنصر الله واجب على المسلم، لقوله تعالى: "إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم"، أما بالنسبة لأولئك الخونة الضالين، الذين يعتقدون أن الله ليس في حاجة إلى نصرة عباده لدينه فهو قادر على التكفل بذلك، أقول أولا أنّ هذا ليس من التوكل على الله الذي يقتضي الأخذ بالأسباب ثانيا إذا كان الله ينصر نفسه مباشرة فلماذا أمر موسى وقومه بالجهاد، فقوم موسى قالوا لموسى "اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون"، من المعلوم أن بني اسرائيل يستهزؤون بالله ولا يخجلون ولا يتورعون منه، مما تسبب لهم في اللعن من طرف الله، وبالتالي انطوائنا وعدم نصرة الله هذا من معتقد بني اسرائيل، الذين قالوا لله: "سمعنا وعصينا وأسمع غير مسمع"، ثانيا: نعم، نحن نعلم أن الله قادر على نصرة دينه، ولكن لماذا ينصر دينه والناس المؤمنين بدينه لا يريدون ذلك، فهو إذا نصر دينه ينصر أتباع هذا الدين، وبما أنه منزوون ومتخفون ومتخاذلون وجبناء ويستحون بدين الله الحق فلما ينصرهم، إنهم لا يبتغون عنده العزة فلما يعزهم، إنهم متواطئون مع أعداءه فلما ينصرهم، إنهم يبتغون العزة عند غيره فلما يعزهم الله، إنهم يرفضون تعاليمه العليا ويرضون بتعاليم غيره السفلى، نعم إنهم يقتدون ببني اسرائيل الملعونين الذي آتاهم الله المن السلوى فأرادوا أن يأكلوا مما تنبت

---

[1] محمد الغزالي: المحاور الخمسة للقران الكريم، دار الشروق، مصدر سابق، ص 60-61.

[2] محمد الغزالي: السنة النبوية بين اهل الفقه واهل الحديث، دار تالشروق، دون باقي معلومات النشر، ص 126.

[3] محمد الغزالي: المحاور الخمسة للقران الكريم، المصدر نفسه، ص 68.

الأرض من بقلها وقثاءها وفومها وعدسها وبصلها، "قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير"، إنّ كل ما يفعله المسلمون هو اقتداء ببني إسرائيل الذين لعنوا بما قالوا، إنّ الله عزيز لا يحب إلا عزير، ولا يحب الذل والخنوع والتقاعس والانحطاط، إنهم يتقاعسون ويتكاسلون عن شرائع القرآن ولا يلتمسون إلا ما يأتيهم وهم مرتاحون تماما، كان جدير بالمسلمين أن يرفعوا الذل عنهم ويبتغوا العزة، فبعزة أنفسهم لأنفسهم يكون دين الله عزيز في الأرض وبذلهم لأنفسهم يكون دين الله ذليل، وحشا لله أن يمثله مثل هؤلاء، لو أن المسلمين انتهموا من القرآن لأصبحوا أعزاء مثل عمر وأبو بكر وعثمان وعلي وكل الصحابة وآل البيت المكرمين، ولو أنهم تخلصوا من الأساطير اليونانية والإسرائليات من تفاسير القرآن، لكان فكرهم الحر يلامس عنان السماء*.

أما مالك بن نبي فيروي في هذا السياق قصة يتحدث فيها عن معاناته مع لويس ماسينبون الذي كان يحاصره لإحساسه بالخطر من هذا المفكر العبقري المسلم فيقول: أمّا الفرصة الثانية التي رأيت فيها وسمعت ماسينيون، فقد كانت يوم دعته جمعيتنا الطلابية لإلقاء محاضرة، وكان ذلك في قاعة من قاعات لاميتييل(التعاضدية). وقد حضرتها بالطبع بمعية زوجتي والأخوين بن ساعي، دار الحديث في هذه المحاضرة حول إمكانية استعمال الخط العربي، فمنهم من عارض استعمال الخط العربي كبن يوسف ومنهم من أيّد استعمال الخط العربي كماسينيون،

أما أنا فقد منحت تأييدي لماسينيون ، فلم أدرك أنّ الأمر يتعلق بمجرد مخبر جاء ليسجل ردود الفعل في وسط المثقفين المسلمين، لقد كنت قليل التجربة، وقد نال ماسينيون في هذه الأمسية مودتي حتى بعد أن تجنب إجابتي عن سؤال طرحته عليه أثناء الحديث الذي دار بين بلافريج ومحمد الفاسي الذي كان يداعب حاملة تبغه، إن لم تخنني الذاكرة، فقد قلت له:

السيد الأستاذ، ألا تعتقدون أنّ تدهور العالم الإسلامي مرده، فضلا عن أسباب أخرى، إلى أنّ التفسير القرآني محشو بالخرافات الإغريقية وبالإسرائيليات؟

أتذكر أنّ وميضا برق في عينيه ولكنه تظاهر بأنّه لم يسمع سؤالي، الذي لم أسع من جهتي لإعادته، ويجب أن أعترف أنّي لم أفهم تصرف شخص انتزع رغم كلّ شيء تعاطفي نظير موقفه من الحرف العربي، وإنّي أدرك اليوم جميع الأسباب التي حدت به ليسجل بكل عناية سؤالي واسمي مباشرة وهو يغادر المكان بعد انتهاء المحاضرة.[1]

يفهم من قصة مالك بن نبي أن أعداء الإسلامي يسعدون كثيرا عند رؤيتهم يغرقون في التفاهات والأساطير ويسطبغون بها دينهم، ويحزنهم كثيرا إذا ما رأوا المسلمين قادرين على التفكير والتغيير ومعرفة الأسباب التي تؤدي بنهضة المسلمين والإسلام، فيحاربون هؤلاء المفكرين جَهدهم حتى يبقى المسلمون في غفلة عن الحق وحرية العقل، ويرون أنهم

[1] : مالك بن نبي: العفن، مذكرات الجزء الأول (1932-1940) تر: نور الدين خندودي، ط1 (دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007) ص 36-37.

خطر عليهم فيحاربونهم ويحاصرونهم حتى لا يكونوا سلاحا ضدهم ويفسدوا خططهم، وهذا ما حدث مع مالك بن نبي.

أما الغزالي فيؤكد دعوة المسلمين إلى التفكير وإعمال العقل في الكون والطبيعة وقضايا الأمة ويرى أنه كان جديرا بالمسلمين أن يفكروا في الكون، وينتهزوا فرصة حياتهم على الأرض ليعرفوا عظمة رب العالمين، بدراسة خواص المادة والقوانين السارية بين شتى العناصر، أنّ الله لا يعرف بدراسة ذاته فهذا مستحيل، وإنما يعرف بدراسة ملكوته الضخم، واستجلاء الآيات الدالة عليه هنا وهناك، لا بأسلوب شعري هائم ولكن بأسلوب علمي صارم. وذلك هو منهج القرآن الكريم، وقد ولدت الملاحظة والتجربة في البيئة الإسلامية، وكان يمكن أن تترعرع وتؤتى ثمارها إلى آخر مدى لولا الانحراف الذي أصاب العقل الإسلامي بالتقعر فيما وراء المادة، ولولا انطلاق بعض المخربين يصرفون الناس عن الدنيا، ويضعون على حواسهم حجبا، فلا يدركون من قوتها ولا من جمالها شيئا. ويستحيل مع الجهل بالحياة وقوانينها أن يقوى الإيمان ويستوي على الطريق، والثقافات الإسلامية المبتدعة والمنحرفة سر هذا العوج وفي مقدمتها التصوف الدخيل، إنّ الله جلّ شأنه لما خلق البشر خلق لهم كل ما في الأرض ليستمتعوا به ما داموا على ظهرها أحياء، ومعنى ذلك أن يعرفوا ما هيأ لهم معرفة شاملة.. العلم الواسع بالدنيا، والقدرة التامة عليها، كانت أمورا بديهية عند أسلافنا، فقد نصروا الحق بهذا الإدراك السديد، ثم خلف من بعدهم من نفض يديه من شئون الدنيا فخذل نفسه ودينه على السواء.[1]

إن من أسباب انهيار الحضارة الإسلامية أيضا شيوع مبدأ الجبرية بين الناس، فالمرء لا حول له ولا قوة، ولا قدرة ولا إرادة. وإنما هو يحيا بتوجيه خفي أو جلي من مشيئة الله التي تدفع به ذات اليمين أو ذات الشمال، والتي تهيء له حياة اليسر أو حياة العسر برغمه. وقد يذكر من باب التغطية أو الاعتذار عن الشرع، أن للإنسان كسبا أو اكتسابا، والحقيقة أنه مسلوب الإرادة على حد قول الصوفي: * أنا قلم والأقدار أصابع* وما يصنع القلم وحده أنه أداة وحسب، .. ولا يزال أغلب المسلمين إلى يومنا هذا يرون أن الطاعة والمعصية، والغنى والفقر، حظوظ مقسومة، وأنصبة مكتوبة، وأن المرء مسير لا مخير، ونشأ عن ذلك أن الشخصية الإسلامية اهتزت وتزعزت وسيطر عليها لون من السلبية والتسليم، والسبب في ذلك علم الكلام، والتصوف، وبعض مفسري القرآن وشرّاح السنن.[2]

لذلك لا يجوز أن يكون هناك انكفاء عن الكون بالنسبة للمسلم، فملكوت الأرض ليس بعيدا عن ملكوت الله، بل هو جزء من ملكوت الله الواسع، وليس للإنسان المسلم المؤمن بالقرآن أن يدير ظهره للكون وما فيه من أسرار بل الكشف عنها ضرورة شرعية لعمارة الأرض وللشهادة على الناس، والقيادة لهم، والآيات الكونية جزء من أدلة الهداية، والنظر فيها دين، وطريق إلى الإيمان الحق، فالذي خلق الكون، هو الذي خلق الإنسان، وأنزل القرآن، وما

---

[1] محمد الغزالي: المحاور الخمسة للقران الكريم، دار الشروق، مصدر سابق، ص 68-69.

[2] محمد الغزالي: الدعوة الاسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر، ط 3، (مكتبة وهبة ، القاهرة، 1990م) 72.

ذكرتم هو في مصلحة ما نقول: من أن القرآن وضع الإنسان في مناخ الكون، حسسه بالزمان والمكان، ولفت نظره للسنن الجارية في الحياة والكون المادي. أرى أنه يكفي القرآن إعجازا علميا، أنّه وضع الإنسان في المناخ العلمي، وفتح نوافذه كلها للنظر في المعارف، وأنا لا أستطيع مع هذا أن أقول: إنّ الكتاب كتاب فني وضع قوانين علمية: لأنه ليس هناك قوانين علمية إسلامية، وأخرى نصرانية، قوانين الكشف العلمي واحدة فلا يجوز التجاوز في التعبير، وليس لأحد أن يورط الوحي الإلهي في هذا.[1] فالتدين الحقيقي ليس جسدا مهزولا من طول الجوع والسهر، ولكنه جسد مفعم بالقوة التي تسعفه على أداء الواجبات الثقال، مفعم بالأشواق إلى متاع الحياة... عظمة الإيمان تعتمد ابتداء على فقه في آيات الكون يقف المرء على أسرار الابداع الأعلى، ويشعره بما يستحقه الخالق الكبير من مجد وحمد. عظمة الإنسان تقوم على نشاط عقلي لا حدود له، يواكبه نشاط روحي لا يقل عنه كفاءة بل يربو عليه. أما إهزال الفكر الانساني وإضعاف ثماره حتى يستطيع التدين المعلول أن يملك زمامه، فذاك ما نرفضه كل الرفض... فبالحديث عن الإسلام اليوم فهو دين يتيم، ليست له اليوم أبوة روحية وثقافية تحلو معدنه، وتبدي حقيقته.[2]

المحور الثالث القصص القرآني:

إنّ هذا المحور هو أوسع المحاور القرآنية، وسنقف أولا عند ناحية محدودة منه: هل القصص التي رواها لنا القرآن الكريم ، متشابهة في سياقها وأحداثها وإفادتها؟ أعني: هل هي لون من التكرار الذي يغني قليله عن كثيره؟

والجواب: لا، لكل قصة في موضعها إيراد مقصود، وأثر مغاير، يحتاج إليه السامع، لتكتمل به الحقيقة التاريخية والعناصر التربوية. وهذا كلام يحتاج إلى شرح واستدلال، ونحن نذهب إلى قصة آدم التي تكررت سبع مرات في القرآن الكريم لنستخرج منها نماذج لما نقول.

جاء في الإصحاح الثالث من سفر التكوين:" وقال الرب: هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى الأبد، فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها، فطرد الإنسان، وأقام شرق جنة عدن 'الكروبيم' الملائكة ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة".

في هذه السطور نرى أن الشجرة التي أكل منها آدم، واستحق غضب الله، هي شجرة المعرفة، أيّ معرفة؟ معرفة الخير والشر، كان الله يريد أن يكون آدم جهولا، لا يدري ما الخير وما الشر؟ والذي عندنا أن الله علم آدم الأسماء كلها، وميزه بسعة المعرفة، ويستحيل أن يجعله حيوانا لا يعرف الخير من الشر، والمضحك أن الله بزعم كاتب

[1] محمد الغزالي: كيف نتعامل مع القرآن، ط 7، (نهضة مصر، القاهرة، 2005م) ص 213.

[2] محمد الغزالي: ركائز الإيمان بين العقل والقلب، ط 2، (دار الشروق، القاهرة، 2002م) 23-28.

العهد القديم، خشى أن يرتقى آدم ويضم إلى ما حصل عليه من معرفة، الأكل من شجرة الحياة وبذلك يصير من الخالدين بعد أن صار من العارفين.[1]

إن هذه القصة مع مقارنتها بقصة القران الكريم التي تحث الإنسان أن يكون كائنا متعلما طالبا للعلم والمعرفة بكل أنواعها ومشاربها، لكي يرتقي بمعرفته إلى النور الإلهي، فهي تجعله كائنا منحطا منغمسا في الحياة التافهة جاهلا بالله العظيم ونور المعرفة وحرية العقل التي خصه بها.

لقد قص القران الكريم علينا أهم أخبار الماضين، وسواء كانت القصص مفردة أو مكررة، فهي في السياق القرآني أداة تربية، ومصدر توجيه ووعظ يدعم الفرد والجماعة، فقصص القرآن قطع من الحياة الماضية، استرجعها الوحي الأعلى للتعليم والاعتبار... كما يقر العلماء أن قصص القرآن الكريم قبل أن تكون تاريخا للأشخاص والأحداث فهي مجلى لعقائده وآدابه، وما شرع من عبادات وسياسات، والقصة حيث كانت عنصر تربية وشارة توجيه، وإفرادها أو تكريرها مقرون بحكمة وغاية ويمكن إبراز هذه الحكم والغايات عندما يوضع تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم كلها على نحو ما وضع الشيخ محمد عبد الله دراز لسورة البقرة في كتابه النبأ العظيم.[2]

إنّ القصص القرآني سرد واع موجه للتاريخ الإنساني ليس الغرض منه الإلهاء والتشويق بل الغرض منه التربية والتوعية وتجديد المعاني بعد انتهاء أهلها لتكون عظة دائمة. إنّ اتهام القرآن بأنه يعرض خيالات فنية أو يمزج في سياقه بين الواقع والخيال اتهام لا مساغ له، وهو في نظرنا بلاهة نشأت عن اتباع المستشرقين، والمستشرقون يحسون ما في كتبهم من غثاثة وعوج ويعد عن الحق ويريدون الإيهام بأن القرآن لا يزيد على غيره، وهذا كذب لا يروج عند عاقل..[3]

كما كان القصص الحسن من أبرز الأساليب القرآنية في شرح الإسلام وبيان رسالته، ومزج تعاليمه بالقلوب، ولم يكن هذا القصص الواعي المحكم سردا مجردا لبعض الروايات القديمة يتسلى بها السامعون ثم يغفلون عند حكايتها أو يتعظون، لا، إنّ هذا القصص كان تاريخا لسير الدعوة الدينية في الحياة، وكيف خطت مجراها بين الناس منذ فجر الخليقة؟ وما العقبات التي اعترضتها، وهل وقفت عندها، أو تغلبت عليها، وما صنع الأنبياء بإزائها، وكيف قبلت الأمم المدعوة رسالات الله أو صدت عنها، وبما انتهى الصراع بين الغي والرشد. والحكمة المنشودة من وراء هذا القصص المترسل المكرر تقرأها في قوله تعالى: " **لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون**". يوسف 111. فالقرآن كتاب الدعوة وتاريخها، وفي تضاعيف السرد التاريخي لأخبار الأولين يزداد عرض الدعوة وضوحا ويستبين منهجها الذي تحدو البشر إليه، والذي لا يختلف وإن اختلفت العصور وكرت الدهور. الأنبياء من آدم ونوح، ثم من جاء بعدهم إلى أن

---

[1] محمد الغزالي: المحاور الخمسة للقران الكريم، دار الشروق، مصدر سابق، ص 84.

[2] المصدر نفسه، ص 89-100.

[3] محمد الغزالي: مائة سؤال عن الاسلام، ط 4، (نهضة مصر، القاهرة، 2005م) ص 155-156.

توجوا بخاتمهم محمد بن عبد الله، هؤلاء جميعا شرحوا أصول العقيدة والخلق والمعاملة شرحا فياضا بالصدق، عامرا بالاخلاص.[1]

وكما يدل هذا القصص الموصول على حقيقة الدين، ويحدد تحديدا حاسما الطريقة الوحيدة لمرضاة رب العالمين، كذلك يدل على طبائع الناس ووسائل علاجها، وسنن الله في عقابها أو معافاتها... فإذا وعى القرآن قصص الأولين مع انبياءهم، وجدد على الناس ذكرها بعد ما طوت الليالي أصحابها فلكي يداوي عللا متشابهة، وقد كثرت القصص لتحصي جملة كبيرة من الأمراض الاجتماعية، وتستأصل جرثومتها بصنوف العبر وشتى النذر.[2]

يورد الله سبحانه وتعالى القصص في قرآنه الكريم لتعليم الناس، ليس فقط مجرد سرد جاف لقصص السابقين من أجل الاتعاظ وأخذ العبرة والاقتداء.

المحور الرابع البعث والجزاء:

عندما خلق الله أبناء آدم لم يدعهم يعيشون في الأرض عدد سنين ثم يفنون، وتبقى لهم ذكرى أو لا تبقى، كلا، إنه أوجدهم ليخلدوا. والموت الذي يعترض محياهم على ظهر الأرض هو رقدة مؤقتة أو نقطة فاصلة بين مرحلتين من الوجود، كانت الأولى للغرس والثانية للحصاد. وخلال تعب الأحياء في ميادين الحياة، وسكون الموتى تحت صفائح القبور، يقع حادث كوني واسع المدى، وصفه الله سبحانه وتعالى بقوله: (**ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون* قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمان وصدق المرسلون* إن كانت إلا صيحة واحدة فاذا هم جميعا لدينا محضرون**) يس: 51-53. أمّا الذين أحسنوا الغراس، واستعدوا للقاء الله فإنهم يقولون: (**أفما نحن بميتين* إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين* إنّ هذا لهو الفوز العظيم**) الصافات 58- 60.

وأما الذين ظنوا العيش بين المهد واللحد، هو الوجود الأول والأخير، وجحدوا ما بعده، فلهم شأن آخر (**وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير* إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور* تكاد تميّز من الغيض**) الملك 6-7، وقد أكثر القرآن الكريم الحديث عن الدار الآخرة، وحسابها الدقيق، ونعيمها المقيم، وعذابها الدائم، وأكّد للبشر أنّ حياتهم فوق التراب فترة قصيرة، وأنّ استغراقهم في الأحزان والأفراح خدعة كبيرة، وأنّ المسلك الوحيد الرشيد هو الإيمان بالله واليوم الآخر.[3]

---

[1] محمد الغزالي: نضرات في القران، ط6، (نهضة مصر، القاهرة، 2005م) ص 95.

[2] المصدر نفسه: ص 96.

[3] محمد الغزالي: المحاور الخمسة للقران الكريم، مصدر سابق، ص 125-126.

كما يهدف الإسلام إلى تجسيد اليوم الآخر، واعتباره حقيقة فوق الشكوك وجعل الاستعداد له آية الرشد ودليل الحصافة، والناس يشغلهم حاضرهم عما وراءه، ويستغرق انتباههم عالم الشهادة فيكادون يجحدون عالم الغيب، ومع أنهم يرون الموت يركض كل ساعة على الحياة ويبتذل جدها وينتهك ساحتها فهم محجوبون ذاهلون، حتى قال الحسن: " ما رأيت حقا أشبه بباطل من الموت.." فليس عجبا أن يكثر الإسلام من صور النعيم والجحيم في العالم الآخر، وأن يسترسل في وصف هذه المعالم، ليشعر كل حي بأن مستقبله المنشود ليس على سطح هذه الأرض، ومن السخف أن يحسب هذا مخدرا لتحمل مظالم العتاة في سكون. فإن الإسلام مع وصفه بأنه المسهب لأفراح الجنة وأحزان النار، بيّن أن الموت في كفاح الطاغين أقصر طريق إلى الفردوس الأعلى. وأنّ الصبر على إذلالهم مزلقة إلى النار وبئس القرار، ومادية الثواب والعقاب حق، ليس تخيلا ولا تمثيلا... إنّ الدار الآخرة حق، والأجزية المعدة فيها مادية روحية، لأنّ الإنسان كذلك مادة وروح، والمجتمع الإسلامي يقوم على الاستعداد الدائم لهذه الدار، ويوجب الأفراد كافة أن يرتبوا حياتهم اليومية على ذلك الأساس.[1]

إن الجزاء والعقاب من المحاور المهمة في الاسلام فعلى أساسها يكون المسلم صالحا أو فاسدا، فبمجرد تذكرها في الحياة تكون بمثابة رادع للمسلم كي لا يطلق العنان لنفسه ويتهور، فهي بمثابة المراقب والضابط لأفعال المسلمين الحسنة والسيئة.

المحور الخامس: ميدان التربية و التشريع.

إنّ الإسلام عقيدة وشريعة ما يشك في ذلك عاقل، وتطلعه إلى أخذ مقاليد الحكم اتجاه طبيعي لتحقيق أهدافه، بيد أن الترتيب المستفاد من تعاليم الإسلام أنّ تكوين الدولة يتم بعد تكوين الفرد، وأن وضع النظام يجيء بعد انضاج الإيمان، وقد تنزلت آيات الأحكام بعد مهاد عريض من اليقين والإخلاص وإرادة الآخرة. إنّ التطلع إلى الحكم كما يكون لإعلاء كلمة الله قد يكون لرغبات خاصة كامنة أو مكشوفة ، والحكم الإسلامي قبل أن يكون لمعان أسماء أو تسنم مجد هو تفان في الله ورغبة فيما عنده، وإلا فالأمر كما قال الله تعالى: " **من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون**".[2]

من الأشياء الواجب أخذها بعين الاعتبار لدى المسلم، وسأكتفي بذكر البعض منها وليس كلها أولا: **ما يحبه الله وما لا يحبه الله:**

---

[1] محمد الغزالي: ليس من الاسلام، ط1، (دار الشروق، القاهرة، 1998م) ص 15-16.

[2] محمد الغزالي: أزمة الشورى في المجتمعات العربية والاسلامية، من سلسلة الاسلام دين الحياة، الكتاب الأول، ط1 (دار الشرق الأوسط للنشر، دون مكان نشر، 1990) ص 58-59.

أول ما نقف عنده من معاني التربية هي عبارة الله يحب والله لا يحب، فإذا كنا مؤمنين بالله راغبين في مرضاته أسرعنا إلى فعل ما يحب وترك ما يكره. وسنلاحظ عند السرد أنّ ما يحب الله ومالا يحب ينصب على أمور تتسم بالعموم، وأنّ الإنسان عندما يسطحبها يحقق زكاة نفسه، ورفعة جنسه في آفاق الحياة كلها، فليس الأمر عبادة داخل مسجد، بل عبادة في كل مكان.[1]

ثانيا:إن الله لا يحب المعتدين:

أوّل ما قرات في المصحف الشريف(**لا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**) البقرة 190. و قليلة بعد سطور (**أحسنوا إنّ الله يحب المحسنين**) البقرة 195. هذه قوانين عامة يجب أن تضبط الناس جميعا... سمعت من سنين مقتل عشرة من علماء المساجد في قطر إسلامي إفريقي، رفضوا انقلابا شيوعيا يريد إطفاء أنوار الإسلام، كان الخبر من إذاعة أوروبية، لأنّ الإذاعات العربية آثرت الصمت، وغضبت للمأساة لجنة العفو الدولية، وأعلنت استنكارها بصوت عال، فقلت في نفسي: أصحاب الفطرة السليمة يأبون الصمت على جرائم متدينين كذبة، بعضهم قاتل، وبعضهم يسكت رضا أو جبنا أو عدم مبالاة بجرائم القتل.

الحق يقال إن استمرار العدوان، ورؤيته ببلادة يشيع في الأمة لا يمكن أن يكون إيمانا، هذا مسلك أقوام لا يعرفون الله ولا يبالون بما يحب ولا بما لا يكره، أليس عجيبا أن تهبط أمتنا إلى هذا الدرك؟، روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ستة لعنتهم ولعنهم الله وكل نبي مجاب الدعوة: " 1- الزائد في كتاب الله (بالبدع والخرافات) 2- والمكذب بقدر الله (يحسب أن زمام العالم يسير وحده) 3- والمتسلط على أمتي بالجبروت ليذل من أعزّ الله، ويعز من أذل الله (وما أكثر هؤلاء المتسلطين في التاريخ القريب والبعيد) 4- والمستحل حرمة الله (مستبيحو الرذائل والمعاصي) 5- والمستحل من عترتي ما حرّم الله (قتلة أسرة الرسول عليه الصلاة والسلام) 6- والتارك السنة (يعني من يأبى العمل بها). الطبراني في الكبير وابن حبان في صحيحه والحاكم، وقال صحيح الإسناد، ولا أعرف له علة، نقلا عن الترغيب والترهيب جـ 1 ص 84.[2]

ثالثا:الإحسان:

ثم نتطرق إلى عنصر آخر من عناصر التربية الواعية نأخذه من قوله تعالى (**وأحسنوا إنّ الله يحب المحسنين**) البقرة 195. والإحسان في صورته العليا هو صفة رب العالمين، لأنّ الإساءة تنتج عن الجهل والعجز والقصور وما إلى ذلك من أوصاف مستحيلة على الله، إنه سبحانه وتعالى تحدث عن صنعه للكون الكبير، فقال: (**صنع الله الذي أتقن كلّ شيء إنه خبير بما تفعلون**) النمل 88. وطلب إلى الناس أن يفتشوا على مآخذ في

---

[1] محمد الغزالي: المحاور الخمسة للقران الكريم، مصدر سابق، ص 160.

[2] المنصدر نفسه: ص 161-162-163.

هذه الصناعة الباهرة يشينها، وهيهات، "**ما ترى في خلق الرحمان من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير**) الملك 3-4.[1]

والله سبحانه وتعالى لما نشر أبناء آدم على الثرى، وناط بهم رسالة الحياة كلفهم كي يكونوا ربانيين، أن يحسنوا العمل، وأن يبلغوا به درجة الكمال وإذا غلبتهم طباعهم الضعيفة فلم يصلوا إلى هذا الشأن وكرروا المحاولات، ولم يستريحوا إلى نقص أو قصور، ولا يزالون يجاهدون حتى يبلغوا بأعمالهم درجة الكمال المستطاع. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنّ الله كتب الإحسان على كل شيء.." مسلم جـ 3 ص 1548 رقم 1955 الصيد والذبائح/ الأمر باحسان الذبح وتحديد الشفرة.[2]

رابعا: إنّ الله يحب التوابين:

وهذا أفق آخر من الكمال المادي والمعنوي وصفه القرآن الكريم بقوله: (**أنّ الله يحب التوابين ويحب المتطهرين**) البقرة 222. أي يحب سناء الأرواح وكمال الأجسام كما يشير السياق. إنّ البشر لهم أجساد حافلة بالأجهزة والغدد التي لا تنقضي إفرازاتها وفضلاتها، ولو تركت من غير تنقية وتطهر، لأنتنت وكانت مثار اشمئزاز، كما أنهم يحيون فوق الأرض التي يهيج فوقها الغبار، وترتفع الحرارة فيتلوث الجلد بالعرق والأدران فلا جرم أمر الإسلام بتجديد الوضوء، والتعهد المستمر للنظافة الشاملة للجسم والثوب والمكان.[3]

خامسا: يمحق الله الربا:

في الدنيا صنف من الناس لا يعرف إلا 'هات' إنه يركض في فجاج الأرض ليأخذ لا ليعطي.. إنّه لا يتصدق لأن الصدقة عطاء، وهو لم يوق شحّ نفسه، وفي تجارته، وفي فضول ماله يطلب الربح العاجل أو الآجل، والربا في منطقه مسلك طبيعي لا يجوز أن يسأل عنه، وهو لا يبالي بآلام الناس لأنه مشغول بآماله الخاصة، في هذا الصنف المتوحش يقول الله تعالى (**يمحق الله الربا ويربي الصدقات و الله لا يحب كلّ كفار أثيم**) البقرة276، إنّ المدنية الحديثة غليظة العنق نحيفة الخلق، والويل لمن استكان لها، ولم يتحرز من مؤامراتها.[4]

سادسا:أنّ الله يحب المتقين:

إنّ الإسلام كما حرّم الربا حرّم قسوة القلب وبلادة الفكر ورداءة الخلق ودوران بعض الناس حول ذواتهم، لا يعرفون غيرها ولا يحسون إلا حاجاتها.

---

[1] محمد الغزالي: المحاور الخمسة للقران الكريم، مصدر سابق، ص 164

[2] المصدر نفسه: ص 165.

[3] المصدر نفسه: ص168.

[4] المصدر نفسه: ص 171-172.

والإسلام ليس شعرا كثيفا أو خفيفا في بعض الوجوه وإنّما هو زكاة نفس وسناء خلق، إنّه ذكاء وابتسام وشرف، وليس عناوين ومظاهر، ويقول الله تبارك وتعالى: (**بلى من أوفى بعهده واتقى فإنّ الله يحب المتقين**) آل عمران 76. التقوى هي استحضار لجلال القائم على كل نفس بما كسبت، وإنّ هذا الاستحضار يتطلب مسارعة إلى فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، ويصنع حصانة قوية ضد ارتكاب الآثام أو التفريط في الواجبات، وقد يكون الخوف صانع هذه الحصانة والله أحق من يُخشى وقد يكون الحياء والله أحق من يُستحى منه. وليست التقوى حالة نفسية تبعث مثلا على الصلاة والصيام، أو تحول دون الربا والخنا، بل هي درجة من الانضباط النفسي تحدد مواقف المرء بازاء العادات والعبادات والمعاملات ومختلف مواقف الإنسان في الحياة.[1]

سابعا:إنّ الله لا يحب من كان مختالا فخورا:

يقول الله تعالى: (**إنّ الله لا يحب من كان مختالا فخورا**) النساء 36. الخيلاء شعور طفولي بالعظمة، والفخر حديث المرء عن نفسه أو قومه بإعجاب واعتزاز، وكلا الوصفين ينشأ عن جهل أو القصور العلمي أو الذهول عن حقوق الآخرين أو الاغترار بالموجود وإن كان تافها والاستهانة بالمفقود وإن كان خطيرا... إن رفض الحق عنادا واستعلاء هو أخس الصفات، وهو ظلم للحقيقة التي يجب انصافها على أية حال، والعنيد يأبى الانقياد إلى الحق، ويؤثر إرضاء هواه، والكبر هنا طريق إلى الكفر إن لم يكن إياه، ولعل ذلك معنى الحديث الشريف " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر" (مسلم والترمذي، نقلا عن الترغيب والترهيب ج 3 ص 565. وهو معنى الآية (**ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة، أليس في جهنم مثوى للمتكبرين**) الزمر 60..[2]

ثامنا: لا يحب الله الجهر بالسوء إلا من ظُلم:

إنّ الكلام السيء يضيع المروءة ويميت الصداقة ويقطع ما أمر الله به أن يوصل، وما يأذن الله لأحد أن يسيء القول إلاّ واحدة: أن يذكر بشر من اعتدى عليه وكأنه يتظلم ممن أصابه وينشد الإنصاف (**لا يحب الله الجهر بالسوء إلا من ظُلم وكان الله سميعا عليما* إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا**) النساء 148-149.[3]

تاسعا:إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما:

---

[1] محمد الغزالي: المحاور الخمسة للقرآن الكريم، مصدر سابق. ص 174.

[2] المصدر نفسه: ص 177-179.

[3] المصدر نفسه 181.

إنّ معاصي الجوارح كثيرة، وتجاوز الله عنها مأمول، أما إذا تحول المخطئ إلى فاسق عنيد وانظم إلى شروره إصرار واغترار، فإن الحق والمصلحة، يقضيان بالصرامة معه، ووضع حد لشره. وذلك معنى قوله تعالى: (**ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما**) النساء 107.[1]

عاشرا: إن الله يحب المتوكلين:

(**إذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين**) آل عمران 159. التوكل ثقة في الله، واستناد إليه وأمل يصحب العمل، وعزيمة لا ينطفئ وهجها مهما ترادفت المتاعب، ومنابع التوكل كثيرة: أولها: طبيعة التوحيد الذي رفع الإسلام شعاره وأعلى مناره، فالله في تعريفات الكتاب والسنة له الأسماء الحسنى والصفات العلى (**الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل* له مقاليد السماوات والأرض**..) الزمر 62*63.[2]

حادي عشر: إن الله لا يحب المسرفين:

(**ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلهم الأمل فسوف يعلمون**) الحجر 3. وأصحاب القلوب الفارغة من الله يصيبهم سعار في أثناء ركضهم نحو شهواتهم، وفي أثناء احرازهم لها، سرورهم لا يكدره شيء، ومرحهم لا تقفه حدود، إنهم سكارى لا يفيقون إلا يوم النشور، يوم يقال في الواحد منهم وهو يعذب (**أنه كان في أهله مسرورا* إنه ظن أن لن يحور* بلى إن ربه كان به بصيرا**) الانشقاق 13-15.[3]

ثاني عشر: أن الله لا يحب الفرحين:

في قصة قارون نرى الله سبحانه وتعالى أعلن كراهيته لأمرين يصحبان الغنى المفرط: أولهما امتلاء النفس بفرح خبيث. يدفع إلى ثانيهما وهو البطر والغرور وازدراء الغير وعبادة الذات، وقد لاحظ قوم قارون هذا كله على رجلهم الواسع الثراء فقالوا له: (**لا تفرح إنّ الله لا يحب الفرحين**) القصص 76. ماذا يجب على رجل وسّع الله عليه وكثر خير الله عنده (**وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا وأحسن كما احسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين**) القصص 77.[4]

ثالث عشر: إن الله يحب الدين يقاتلون في سبيله صفا.

---

[1] محمد الغزالي: المحاور الخمسة للقرآن الكريم، مصدر سابق، ص: 183.

[2] المصدر نفسه : ص 190.

[3] المصدر نفسه: ص 197.

[4] المصدر نفسه: ص 198.

القتال قمة البلاء البشري، والساعة الحرجة التي يدوس المؤمن فيها كل أشواق الحياة، ورغبات الدنيا، ويتقدم بثبات لآداء واجبه ولقاء ربه، ولا مكان هنا لدعوى أو مجون (**كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون* إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص**) الصف 3-4. وفي الحديث: " مقام الرجل في الصف في سبيل الله أفضل عند الله من عبادة الرجل ستين سنة) الحاكم، وقال: صحيح على شرط البخاري، نقلا عن الترغيب والترهيب جـ 2 ص 285. ص 201.[1]

رابع عشر: الأمانة

الإسلام يرقب من معتنقه أن يكون ذا ضمير يقظ، تصان به حقوق الله وحقوق الناس، وتحرس به الأعمال من دواعي التفريط والإهمال، ومن ثم أوجب على المسلم أن يكون أمينا،.. والعوام يقصرون الأمانة في أضيق معانيها وآخرها ترتيبا، هو حفظ الودائع، مع أن حقيقتها في دين الله هي أضخم وأثقل، إنها الفريضة التي يتواصى المسلمون برعايتها ويستعينون بالله على حفظها، حتى أنه عندما يكون أحدهم على أهبة سفر، يقول له أخوه: "استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم أعمالك". (الترمدي).[2]

لا يجوز للناس أن يتخذوا غير الله ربا أو حَكما: والذي يعبد غير الله جاحد للحق، خائن للنعمة، وكذلك الذي يتبع غير ما شرع، ويحكم بغير ما أنزل.. لماذا نعطي بشرا ما حق منازعة الله في أمره ونهيه، وتحليله وتحريمه؟ لماذا يملك إنسان ما أن يدع كلام الله جانبا، وأن يطرحه وراءه ظهريا، ثم يأتي لنا من عند نفسه بأحكام يزعم أنها أولى بالاتباع من أحكام الله؟ أهو أصدق من الله؟ أهو أبصر منه بمصالح الخلق؟ أم هو أذكر لما نسي رب العالمين من حاجات الناس؟ إنّ إهمال التشريع الإلهي، واعتناق القانون الأرضي، عبث شائن، وجاهلية منكرة. " **أفغير الله أبتغي حَكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا**" الأنعام 114.[3]

يقول الغزالي: **إنّ العودة بالإسلام إلى ما كان عليه أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين تستدعي إلى جانب تنقية الإيمان من الشوائب، ضمان قيام حكام من طراز عاقل وعادل، تختارهم الأمة اختيارا حرا، وتحاسبهم إذا شاءت حسابا مرا.**[4]

فالسلطان يمكنه أن يفعل ما لا يمكنه أن يفعل القرآن، فلو اتحد السلطان والقرآن، وكان القرآن مصدر تشريع والسلطان مصدر تنفيذ لتحقق الإصلاح في الأرض وهو المهمة الأولى لخليفة الله على الأرض وهو الإنسان، فالقران هو

---

[1] : محمد الغزالي: المحاور الخمسة للقران الكريم، مصدر سابق، ص 201.

[2] محمد الغزالي : خلق المسلم، ط1، (دار الريان للتراث، القاهرة، 1987م)

[3] محمد الغزالي هذا ديننا، ط5، (دار الشروق، القاهرة، 2001م) ص 241.

[4] محمد الغزالي: معركة المصحف في العالم الاسلامي، ط5، (نهضة مصر، القاهرة، 2005م) ص 163.

أداة الخير الوحيدة التي يمكنها ذلك ، فإذا استعملت أداة أخرى للإصلاح كان الإفساد كما هي الحال في هذه الأيام على الأرض.

خاتمة:

في ختام هذا البحث توصلت إلى عدة نتائج منها:

- ✓ أن الغزالي يريد بالتجديد بعث الإسلام من جديد و العودة به إلى أصله الإسلام غضا طريا كما فهمه عمر وأبو بكر وغيرهم، قبل أن يطمس بكثير من الأخلاط الثقافية الأجنبية الدخيلة خاصة في العصور الموالية لعصر النبوة كالعصر العباسي وغيره.
- ✓ كما لا يكون هذا البعث الجديد للإسلام إلاّ بالتركيز على أهم محاور أقدس رسالة على وجه الأرض وهي القرآن، الذي يتمحور اولا حول وحدانية الله وعظمته وجلال قدره، حتى أنّ الغزالي يؤكد على الإخلاص في توحيد الله فهو الخالق لكل شيء، وكل شيء بأمره سبحانه وتعالى وكل ما دونه من أمور وتشريعات وقضايا اخرى في دين الاسلام تحوم في فلكه ولا يقوم شيء منها ولا يصلح إلا برضاه، على مستوى كل الاصعة والمجالات ، بما في ذلك الغنسان وغيره من المخلوقات الحية والجامدة.
- ✓ ولتحقيق هذه الوحدانية والإخلاص في الاعتقاد يجب على الانسان المسلم أن يعرف الله حق معرفته، فالله لا يمكننا ان نعرفه بذاته في هذا العالم، وغنما بالكون الذي خلقه، ومن هنا ينتقل الغزالي الى المحور الثاني وهو الكون الدال على خالق، حيث يأمر القرآن الانسان بتحرير العفل وتنويره بإطلاق العنان له في هذا الكون لمعرفته وبالتالي معرفة خالقه بالعلم والمعرفة الذي يحقق الايمان الصحيح بالله سبحانه وتعالى، وبالتالي العلم والإيمان يخرجان من مشكاة واحدة، كما يحث الغزالي وبإصرار كبير على عدم اتباع أولئك الجهلة الذين يدعون أنهم على حق بعلم أو بغير علم، ويفرقون بين العلم والإيمان، فالعلوم الكونية كالعلوم الطبيعية والفيزياء والكيمياء والميكانيك هي من علوم الطبيعة التي خلقها الله، وبالتالي قانون الطبيعة هو قانون إلهي محض، وسنة ربانية يجب على الإنسان المسلم البحث فيها، وعدم طاعة أولئك الذين استبدلوا الذي هو أدنى من العلوم الإسرائيلية الواردة في تفاسير القرآن الكريم بالذي هو خير أي القرآن كما فهمه الصحابة الكرام دون تحريف.
- ✓ أما المحور الثالث عند الإمام الغزالي فهو القصص القرآني، الذي يقتدي به الإنسان المسلم ويعتبر منه، ليتجنب أخطاء الأمم السابقة الكافرة ، ويقتدي بالأمم السابقة المؤمنة والموحدة لله سبحانه وتعالى، فالقصص القرآني فيه تربية نفسية وروحية للفرد المسلم وارتقاء وتزكية للنفس وإزالة للشوائب المتراكمة ومعرفة سبيل الله الحق، والابتعاد عن بيل الباطل وبالتالي تحقيق معرفة الله والوصول إلى ما يرجه الله من العبد.
- ✓ للبعث والجزاء وقر كبير في وجدان الإنسان المسلم لذاك جعله الغمام الغزالي من المحاور الخمسة للقرآن الكريم، وهو المحور الرابع، فبه ينتهي المسلم عند النواهي ويأتمر بالفرائض والواجبات، فالإيمان باليوم الآخر والحياة ما

بعد الموت، رادع وحاجز بين المسلم وبين الكفر والشر والأعمال الفاسدة كلها، فهو تذكير بالفناء وبالتالي تذكير بعالم الغيب الذي هو الحياة الدائمة والأبدية التي يرجو المسلم الحياة فيها والبقاء فشي الجنة الدائمة.

- ✓ أما ميدان التربية والتشريع فهو المحور الخامس والأخير، الذي يتلقى فيه المسلم التشريعات الربانية مباشرة من القرآن الكريم، لإصلاح حياته، وإصلاح البلاد وتنظيمات الدولة التي من المفترض أنها مستمدة من القرآن الكريم فهذا المحور لتربية الفرد والمجتمع، والنهوض بالأمة الإسلامية إذا ما طبقت كما يحب الله ويرضا.
- ✓ فالبعث الجديد عند محمد الغزالي هو إحياء القرآن من جديد بعد دفنه بين الخرافات وحشو تفاسيره بالإسرائيليات والأساطير الإغريقية، وذلك بتحريره من كل الأغلال، وهذا لا يتحقق إلا بوحدة الأمة على قلب رجل واحد، وإلا سيدوم الليل السرمدي على العالم والشتات والجهل والظلام والشر والكره، فالوحدة بالقرآن والنهضة به تحقق الحب والإيمان والنور والعلم والخير والصلاح.

قائمة المصادر:

1. مالك بن نبي: العفن، مذكرات الجزء الأول (1932-1940) تر: نور الدين خندودي، ط1 (دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007).
2. محمد الغزالي : خلق المسلم، ط1، (دار الريان للتراث، القاهرة، 1987م)
3. محمد الغزالي هذا ديننا، ط5، (دار الشروق، القاهرة، 2001م).
4. محمد الغزالي: أزمة الشورى في المجتمعات العربية والاسلامية، من سلسلة الاسلام دين الحياة، الكتاب الأول، ط1 (دار الشرق الأوسط للنشر، دون مكان نشر، 1990).
5. محمد الغزالي: الجانب العاطفي من الاسلام، بحث في العلق والسلوك والتصوف، ط3، (نهضة مصر، القاهرة، 2005م)
6. محمد الغزالي: الدعوة الاسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر، ط 3، (مكتبة وهبة ، القاهرة، 1990م).
7. محمد الغزالي: السنة النبوية بين اهل الفقه واهل الحديث، دار تالشروق، دون باقي معلومات النشر.
8. محمد الغزالي: المحاور الخمسة للقران الكريم، دار الشروق، دون باقي معلومات النشر.
9. محمد الغزالي: جدد حياتك، ط9، (نهضة مصر، 2005م)
10. محمد الغزالي: ركائز الإيمان بين العقل والقلب، ط 2، (دار الشروق، القاهرة، 2002م).
11. محمد الغزالي: كيف نتعامل مع القرأن، ط 7، (نهضة مصر، القاهرة، 2005م).
12. محمد الغزالي: ليس من الاسلام، ط1، (دار الشروق، القاهرة، 1998م).
13. محمد الغزالي: مائة سؤال عن الاسلام، ط 4، (نهضة مصر، القاهرة، 2005م).
14. محمد الغزالي: معركة المصحف في العالم الاسلامي، ط5، (نهضة مصر، القاهرة، 2005م).
15. محمد الغزالي: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ط4، (دار الشروق، القاهرة، 2000م)

16. محمد الغزالي: نضرات في القران، ط6، (نهضة مصر، القاهرة، 2005م)

.